ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Miaad Makki
Faisel Alrikabi

Al-Kut University

Email:
Miaad.makki82@jmail.com
07723465710

Keywords:

Linguistics , sociology, Hudson

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:
Received 1.NOV.2023

Published 25.NOV.2023

Sociolinguistics Book by Richard A. Hudson (Methodological Approach)

A B S T R A C T

Sociolinguistics is one of the most important branches of linguistics in general and has been associated with all other branches of linguistics science. In addition, Sociolinguistics is one of the most important applied linguistic sciences, which is concerned with studying the relationship between language and society. Moreover, Sociolinguistics is one of the most important applied linguistic sciences, which is concerned with studying the relationship between language and society. Sociolinguistics has dealt with many social problems, through linguistic studies that have taken place recently. Among the benefits of sociolinguistics is that there is an inverse relationship between language and society, each of which is based on the other. Likewise, sociolinguistics studies the relationship between language, thought, and culture. These studies did not exist in linguistics before. This article shows the methodology in one of the most important books in sociolinguistics, which is (Dr. Hudson's book on sociolinguistics). The book was of great importance in presenting and addressing the most important sociolinguistic problems. This article included several divisions, as it began with an introduction to sociolinguistics, its origins, and its importance, then an introduction to the topics of the book and the researcher's treatments for them, then the conclusion with the most important results that were reached, then a list of sources and references.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol53.Iss2.3774

كتاب علم اللّغة الاجتماعيّ للدكتور هدسون
(مقاربة منهجيّة)

م.د. ميعاد مكي فيصل

مديريّة تربية واسط / الكلّيّة التربويّة المفتوحة

الملخّص:

يعدُّ علم اللّغة الاجتماعيّ من أهمّ فروع علم اللّغة، ارتبط بكُلّ الفروع الأخرى المكونة لهذا العلم، فلا تكتمل أهمّيّة وفائدة أيّ منها بدونه.

يعدُّ هذا العلم من أهمّ العلوم اللّغويّة التطبيقيّة، التي اهتمّت بدراسة العلاقة بين اللّغة والمجتمع، فقد أفاد كثيرًا من الدراسات اللّغويّة؛ لمعالجة المشكلات الاجتماعيّة، التي عانت منها المجتمعات متأخّرًا.

أجاد في بيان العلاقة العكسيّة بين اللّغة والمجتمع، فكلّ منها قائم على الآخر. واهتمّ أيضًا بدراسة العلاقة بين اللّغة والفكر والثقافة، تلك الدراسات التي غابت عن العلوم اللّغويّة سابقًا.

وبهذا فقد جاءت هذه الأوراق البحثيّة؛ لدراسة منهجيّة أهمّ الكتب المؤلّفة في علم اللّغة الاجتماعيّ، وهو كتاب (علم اللّغة الاجتماعيّ للدكتور هدسون)، فقد احتلّ الريادة في الطرح والمعالجة لأهمّ المشكلات اللّغويّة الاجتماعيّة.

تضمن البحث عدّة محاور، أوّلها التعريف بعلم اللّغة الاجتماعيّ، ثمّ نشأته، ثمّ أهمّيّته، ثمّ التعرّف على موضوعات الكتاب ومعالجات الباحث لها، ثمّ الخاتمة بأهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها، ثمّ قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيّة: علم اللّغة، الاجتماعيّ، هدسون.

علم اللّغة الاجتماعيّ (عرض وتحليل)

أوّلًا: التعريف به:

علم اللّغة الاجتماعيّ هو فرع من فروع علم اللّغة التطبيقيّ، فهو يقع في مجالها التطبيقيّ، أَو ما يُعرف بـ (اللّغويّات التطبيقيّة) (دمياطي، ٢٠١٧، ص٧). يهتمّ هذا العلم بالبحث في العلاقة بين اللّغة والمجتمع مع بيان أثر المجتمع وحضاراته وتركيبه وبيئته الجغرافيّة ونظمه في مختلف ظواهرها اللّغويّة (وافي، ٢٠٠٤، ص٢).

كما يبحثُ في الصلة الرابطة بين اللّغة والعوامل الاجتماعيّة، التي تتمثل: {الطبقة الاجتماعيّة، المستوى التعليميّ، نوع التعليم، الأصل العرقيّ، تعدّد اللّغات، التخطيط اللّغويّ، المواقف اللّغويّة، العمر، الجنس}(الخطيب، ٢٠٠٦، ص٦٨،٦٩).

تعدُّ اللّغة المرآة العاكسة لكُلّ مظاهر التغيّر والتحوّل في المجتمع، وهذا وإن دلّ فهو يدلّ على الارتباط الوثيق بينهما (داود، ٢٠٠١، ص٥٢). فلا يمكن لأيّ نظامٍ لغويٍّ أنْ يكون منفصلًا عن أفراد المجتمع، التي تستخدمه وتتعامل معه، فاللّغة ليست هدفاً في ذاتها، بل هي وسيلة للتواصل بين أفرادها؛ لأنّ علم اللّغة بوجهٍ عامٍّ هو علم يبحث عن الرموز الصوتيّة ، التي بدورها تنقل الأفكار من المتحدّث إلى المتلقّي، وعن كيفية تكوين الكلمات والجمل في اللّغة؛ لذلك ارتبط البحث اللّغويّ بالمعنى الذي تحمله تلك الرموز، ومن هنا أصبح وجود اللّغة مقترن بوجود المجتمع، وبهذا اتّضح الطابع الاجتماعيّ للّغة (حجازي، د.ت، ص١١،١٢).

و "منها لا يمكن فهم اللّغة وقوانين تطوّرها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين لأنّ فيها من الإنسان فكرة وطرائقه الذهنيّة وفيها العالم الخارجيّ وتنوّعه وألوانه"(نهر، ١٩٩٨، ص١٨). لكنّ الإنسان لم يزل بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة؛ لذلك أكّد (براتراند راسل) أصالة المعرفة بالكلام واللّغة، ويدعو إلى طريقة سلوكيّة دقيقة قائلاً: "إني أظنّ أنّ المعنى لا يمكن أنْ يفهم إذا عالجنا اللّغة على أساس أنّها عادة جسمية والميدان الصحيح لعلم اللّغة هو دراسة ما يقوله الناس وما يسمعونه وسط المحيط والتجارب التي يعملون فيها الأشياء"(نهر، ١٩٩٨، ص١٨).

يتّخذ علم اللّغة الاجتماعيّ أشكالًا مختلفةً؛ لأنّه ينطلق من علاقة جدليّة تربط اللّغة بالمجتمع وبالعكس؛ لذلك لا يمكن لأيّ باحِث في مجال اللّغة أنْ يتجاوز هذه الإشكاليّة إلّا بترجيح كفة على أخرى، وهو يبحث في تلك العلاقة. وبهذا الربط أصبح علم اللّغة الاجتماعيّ يعيد الاعتبار للمتكلّم الناطق باللّغة من خلال الملاحظة والتحليل والتسجيل، أيّ بالاتّصال المباشر به في الواقع، ومن هنا أصبح هذا العلم علمًا ميدانيًّا (بوفرة، ٢٠١٥، ص١٨).

ينقسم هذا العلم إلى قسمين، الأوّل منه يُعرف بـ (الجانب النظريّ) وهو الجانب الخاصّ بالحقائق المجتمعة وتمحيصها والتفكير فيها، أمّا الثاني فهو يُعرف بـ (الجانب التطبيقيّ) هو الجانب الخاص بالخروج إلى الميدان؛ لجمع المادّة العلميّة (هدسون، ١٩٩٠، ص١٣).

نشأته:

كانت اللّغة لمدّة من الزمن في رحاب ميادين الفلسفة والمنطق؛ لذلك رأى أصحاب المدرسة العقليّة بأنّ وظيفة اللّغة تقتصر على نقل الأفكار والخبرات الإنسانيّة، كما أنّ الإنسان لا يستطيع التفكير بدون اللّغة.

أمّا السلوكيون فلا تختلف نظرتهم للّغة عن الفلاسفة في قصر وظيفة اللّغة ضمن مجال عملهم، اذ كانت وظيفتها عندهم تقصر على التعبير عن العواطف والتأثير والإقناع (داود، ٢٠٠١، ص٤٩،٥٠).

في بداية القرن العشرين قام اللّغويون اليابانيون والهنود والسويسريون بدراسة العلوم الاجتماعيّة للّغة لأوّل مرّةٍ، لكنّ لم تكن لهذه الدراسات أهميّة إلّا لوقتٍ متأخّرٍ. فكان العالم (توماس هدسون) هو أوّل من آمن بمصطلح اللسانيّات الاجتماعيّة، إذ قام بنشر أوّل بحث له في عام (١٩٣٩) (هدسون، ١٩٩٠، ص١٣). وفي نهاية الستينيّات من القرن العشرين بدأت لأوّل مرّةٍ وبشكلٍ كبيرٍ اللسانيّات الاجتماعيّة بالظهور عند العرب (دمياطي، ٢٠١٧، ص٧).

بدأت المرحلة الثالثة التي شهدت تطوّرًا ملحوظًا في مجالات علم اللّغة التي ارتبطت بالعلوم الأخرى، ففي عامّ (١٩٧٢) يشير لمرحلةٍ جديدةٍ بديلة لما سبقتها في حقل الدراسات اللّغوية، فلم تكن مراجعة للنظريّات القديمة فحسب، بل كانت نقدًا لأسس الدراسات المبنيّة على أسسٍ قديمةٍ؛ لذلك أعلنت هذه الدراسات معارضتها للتجريدات القديمة التي ألغت أثر المجتمع وأفراده في اللّغة، كما أكّدت على ضرورة التفاعل الاجتماعيّ داخل المجموعة اللّغويّة (سويس، ٢٠٠٥، ص١٧).

أخذ علماء اللّغة مآخذًا كثيرةً على القُدامى منهم؛ لتقصيرهم في بيان العلاقة القائمة بين الظواهر اللّغويّة والاجتماعيّة، وتفسيرهم لبعض الظواهر بعيدًا عن المجتمع. فحاولوا سدّ النقص ومعالجة الأخطاء الواردة في البحوث القديمة، حتّى كاد بعضهم ينكر أنّ لغير الظواهر الاجتماعيّة أثرًا في اللّغة (وافي، ٢٠٠٤، ص١٢،١٣).

تطوّر علم اللّغة الاجتماعيّ تطوّرًا ملحوظًا ومتميّزًا في الدراسات المنشورة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، التي تناولت طبيعة السكان الذين كوّنوا تلك الولايات. فقد وجد هذا العلم ضالته في حقل الدراسات المرتبطة بالتعليم والتدريس، إذ انتبه عالم سوسيولوجيا التربية إلى العلاقة بين الإنتاجات اللّغويّة الواقعيّة والوضعيّة الاجتماعيّة للناطقين، ومن هذه الملاحظة

توصل إلى نتيجةٍ مفادها بأنّ أبناء الطبقات الاجتماعيّة المتواضعة يعرفون نسب الفشل الدراسيّ أكثر من أولئك الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعيّة مستقرة ماديًّا، وهذا التفاوت قد ميّز بين نظامين لغويين، أحدهما ضيّق والآخر متّسع (بوفرة، ٢٠١٥، ص١٢،١٣).

أهمّيّته:

ارتبط هذا العلم ارتباطًا وثيقًا بعلوم اللّغة الأُخرى، فلا يكاد علم من علومها أو مبحث من مباحثها، يخلو من موضوعات علم اللّغة الاجتماعيّ (وافي، ٢٠٠٤، ص١٢). يهتمّ علم اللّغة الاجتماعيّ باللّغة بوصفها أهمّ مظاهر السلوك الإنسانيّ، وهي وسيلة للاتّصال بين أفراد المجتمع (حجازي، د.ت، ص٢٧). ركّز هذا العلم على الطبيعة الاجتماعيّة للّغة فهي مرآة المجتمع، إذ ترتبط بأهلها ففي قوّتهم قوّة لها، وفي ضعفهم ضعفًا لها، فاللّغة لا تعبّر عن الأفكار فقط، بل هي وسيلة للتواصل الاجتماعيّ والتعاون بين أفراد المجتمع (داود، ٢٠٠١، ص٥٠).

يهتمّ علم اللّغة الاجتماعيّ بالبحث في أهمّ القضايا بين اللّغة والمجتمع، منها: الازدواج اللّغويّ، تعدّد اللّغات في المجتمع الواحد، مستويات الاستخدام اللّغويّ، المشكلات اللّغويّة والاجتماعيّة (حجازي، د.ت، ص٢٧)، كما يهتمّ بدراسة اللّهجات والتنوّع الإقليميّ والعرقيّ للّغة (بوفرة، ٢٠١٥، ص١٨).

تعدُّ الوظيفة الاجتماعيّة التي تؤديها اللّغة من أبرز الوظائف فيها؛ لأنّها تُمثل الجماعة اللّغويّة بأسرها، فهي تستحق تلك الصدارة دون إغفال دور اللّغة في التعبير عن الجوانب العقليّة والسلوكيّة. فالتواصل والترابط الاجتماعيّ لا يخلو أبدًا من المنطق والفلسفة؛ لذلك التعبير عن المشاعر والأفكار لا يخلو من الدور الاجتماعيّ الذي تؤديه اللّغة (داود، ٢٠٠١، ص٥٠).

ومن فوائد علم اللّغة الاجتماعيّ أيضًا، أنّه يفيد الإنسان في عمليّة التفاعل اللّغويّ داخل الجماعات اللّغويّة، فيُمكّن الفرد من اختيار اللّغة، كما لهذا العلم أثر في زيادة فهم الطالب للثقافات الأجنبيّة الأخرى، وتقليل تعصب الفرد لثقافته القوميّة، مع زيادة فهمه للبعد التاريخيّ لثقافته (دمياطي، ٢٠١٧، ص٧). كما يسعى هذا العلم إلى اكتشاف الأسس والمعايير التي تُنظم سلوك الفرد بهدف إعادة التفكير في المقولات التي تتحكم بقواعد العمل اللّغويّ. يعالج هذا العلم المشكلات اللّغويّة التي برزت في المجتمع متأخّرًا، منها: الازدواجيّة والثنائيّة اللّغويّة، مع حلّ كُلّ المشكلات التي تتعلق بالتعليم والمجتمع داخل المجتمعات المتقدّمة (دمياطي، ٢٠١٧، ص٧).

يتّضح ممّا تقدّم بأنّ علم اللّغة الاجتماعيّ تكمن قدرته في إيضاح طبيعة اللّغة بوجهٍ عامٍّ، مع إيضاح الخصائص المحدّدة لهذه اللّغة بوجهٍ خاصٍّ؛ لذلك من الطبيعي أن يدرك دارسوا المجتمع أنّ الخصائص اللّغويّة وجزيئات اللّغة تؤدي إلى فهم واستيعاب تفاصيل ذلك المجتمع (هدسون، ١٩٩٠، ص١٧).

الدراسة (عرض وتحليل) (جاء الكتاب بستة فصول مع مقدمّة وخاتمة، وكان اعتمادي على الطبعة الثانية لعام، ١٩٩٠).

جاء كتاب (علم اللّغة الاجتماعيّ) للباحث اللّغويّ (د. هدسون)؛ لمعالجة الكثير من الجوانب المتعلقّة باللّغة والفلسفة والمجتمع ففتح الباب على مصراعيه؛ لمعالجة هذه الجوانب على نحوٍ واعٍ من العلميّة والموضوعيّة.

شكّل هذا الكتاب الريادة الأولى في الطرح، إذ حرص الباحث فيه أن يكون مدخلًا لعلم اللّغة الاجتماعيّ، وليس ذلك فحسب، بل حرص على أن يكون كتابه مقدّمةً جامعةً لجميع المجالات التي تربط بعلم اللّغة الاجتماعيّ المعاصر، منها: اختلاف اللّهجات، الخطاب، التباين اللّغويّ، والانثوغرافيا الحديث وغيرها من المجالات والقضايا اللّغويّة.

عرّف الباحث بأوجه العلاقة القائمة بين اللّغة والمجتمع، وجاء هذا الطرح كرّد فعلٍ للمناهج النصّيّة التي قيدت اللّغة، وعملت على سجنها، إذ تبحث في رموزها ودلالاتها من غير الربط بين هذه النصوص وسياقها التداوليّ وبيئتها الاجتماعيّة، كالمنهج البنيويّ الشكليّ أو المنهج التوليديّ، الذي دعا إليه الشكلانيون الروس في مشروعهم البنيويّ، ففشل في تحقيق الدلالة والمعنى؛ لانشغال أصحابه بآليات الوصول للدلالة، مع نسيانهم ماهية الدلالة، وانهمكوا أيضًا في تحديد الأنساق وكيف تعمل وأهملوا النصّ اللّغويّ.

في ظلّ هذه المناهج واهتماماتها انبرى مجموعة من الدارسين إلى إعادة النظر في تلك الدراسات، فحرصوا على ربط اللّغة بالسياق الثقافيّ والاجتماعيّ، فاللّغة عندهم قبل كلّ شيء هي نشاط تواصليّ بين أفراد المجتمع الواحد. ومن هنا جاء كتاب اللّغويّ (د. هدسون)، الذي بيّن فيه بأنّ اللّغة لا يمكن فهمها مجرّدة خارج النطاق الاجتماعيّ، فكشف لنا عن الكيفية التي من خلالها يتمّ تحديد الأبنية الرئيسة للّغة، فجاء حديثه على محاور، هي:

١. التعريف بعلم اللّغة الاجتماعيّ، وهذا وإن دلّ فهو يدلّ على الريادة في الطرح للباحث (د. هدسون).
٢. العرض الأهمّ الاختلافات اللّغويّة وتنوّعها.
٣. البحث في العلاقة بين اللّغة والفكر والثقافة، وهو أهمّ محاور الكتاب؛ لأنّ به تمّ ربط اللّغة بالمجتمع، مع بيان وظيفتها التواصليّة والاجتماعيّة.
٤. البحث في الكلام وأهمّيّته بعد أن أهملته الدراسات المتقدّمة، فقد اقتصر اهتمامها على الإشارات اللّغويّة وعلاماتها.
٥. أكّد الباحث ارتباط اللّغة بالمجتمع، فلا يمكن فهمها وهي خارج سياقها الاجتماعيّ، ثمّ أكّد أيضًا على قضيّة (اللامساواة اللّغويّة الاجتماعيّة) التي برزت عندما ربط اللّغة بالمجتمع.

الفصل الأوّل:

يعرض الباحث في بداية الفصل الأوّل من الكتاب تعريفًا لعلم اللّغة الاجتماعيّ، بأنّه: "دراسة اللّغة في علاقتها بالمجتمع" (هدسون، ١٩٩٠، ص١٢).

هذا التعريف على إيجازه يحمل عدّة دلالاتٍ، فكشف لنا الارتباط الواضح والصريح بين اللّغة وأفراد المجتمعات التي تتداولها، إذ ظهر الاهتمام بهذا النوع من الدراسات في نهاية الستينيّات وبداية السبعينيّات بعد الاتّساع المعرفيّ الذي شمل كُلّ ميادين الحياة.

أكّد الباحث أنّ علم اللّغة الاجتماعيّ درس اللّغة من جانبين، الأوّل (النظريّ)، والثاني (التطبيقيّ)، ثمّ حدّد اهتمامات هذا العلم بالآتي (هدسون، ١٩٩٠، ص١٣).

(اللّغة ، الكلام ، المتحدّث ، الخطاب)

وجدنا من بين اهتمامات علم اللّغة الاجتماعيّ عند الباحث (د. هدسون)، هو اهتمامه بـ: (الكلام) الذي أعطته الدراسة أهمّيّة وعناية توازي عنايتها باللّغة، بعد أن أهملته الدراسات والعلوم السابقة المعتمدة على طرح (دي سويسر).

من خلال العرض لأهمّ اشتغالات علم اللّغة الاجتماعيّ عند الباحث (د. هدسون)، لاحظنا أنّه أغفل ركنًا مهمًّا من اشتغالات هذه العلم، وهو (المقام)، أيّ مقام التخاطب بين الناس، فالأولى بالباحث أن يهتمّ به؛ لأنّ من مهامّ علم اللّغة الاجتماعيّ هو مقام التواصل والتخاطب بين الناس في المجتمعات.

وحتّى نكون منصفين في القول، نجد الباحث (د. هدسون) قد حدّد بعض المخاطر في علم اللّغة الاجتماعيّ، التي تساهم في عدم دقّة النتائج فيه، منها (هدسون،١٩٩٠، ص١٣،١٤):

١. اعتماد علم اللّغة الاجتماعيّ على الخبرات الفرديّة (الشخصيّة)، وهذه الخبرات عاجزة في إدراكنا بشكلٍ واعٍ للتباين الحاصل في الكلام في حياتنا اليوميّة.
٢. لا يمكن لهذه الخبرات اليوميّة الفرديّة أن تعمّم على المجتمعات الأخرى، التي تمّ تنظيم أمورها تنظيمًا قد خالف كُلّ الاختلاف المجتمع الذي يعيشه الباحث.

نرى أنّ المنهج الذي اعتمده علم اللّغة الاجتماعيّ، هو منهج علميّ، قام على المزاوجة بين مجالين، هما: المجال التنظيريّ والتطبيقيّ، ولهذا المنهج أثر كبير في تذليل الكثير من العقبات والصعوبات، كما له أثر في معالجة الأخطاء الحاصلة أثناء دراسة أيّ لغةٍ من لغات المجتمع، وهو المنهج الذي مكّنه من دراسة الكثير من القضايا الاجتماعيّة، التي سنتعرف عليها في فصول الكتاب.

الفصل الثاني:

برز في هذا الفصل من الكتاب المنهج الإجرائيّ المتّبع في الدراسة، إذ استعان الباحث (د. هدسون) بالمنهج العلميّ الميدانيّ في النظر إلى اللّهجات، مع اعتماده على المخططات والأشكال التوضيحيّة، والتأكدّ من دقّة النتائج، وإخضاعها للعلميّة من أجل الحصول على قاعدة قدر الإمكان.

حاول الباحث في هذا الفصل أن يكشف للقارئ علاقة اللّغة بالمجتمع، إذ استعمل التصنيفات اللّغويّة الشاملة كاللّغة واللّهجة مقابلًا للسياق (هدسون،١٩٩٠، ص١١٥_٣٨). وكشف الباحث أيضًا في هذا الفصل، ومن خلال تفريقه بين (اللّغة، واللّهجة، والسياق) نوعيات مختلفّة للّغة، ويقصد بـ (النوعيّة) هو مصطلح يمكن استعماله للدلالة على مظهرٍ معيّنٍ من المظاهر المختلفة، كقولنا نوعيّة من النبات، أَو نوعيّة من الكتب، أَو نوعيّة من الأشجار وغيرها كثير. أمّا النوعيّة من اللّغة فهي وحدات لغويّة ذات توزيعٍ اجتماعيّ واحدٍ كاللّغة الإنكليزيّة مثلًا، فنرى الباحث قد توصل في منهجه العمليّ والنظريّ إلى وجود نوعيّاتٍ لغويّةٍ متعدّدةٍ (هدسون،١٩٩٠، ص٤٤-٤٢).

لم يتمكن الباحث (د. هدسون) في دراسته لهذه النوعيّات، أن يحصل على نتائج دقيقةٍ لكُلّ نوعٍ منها، لأسبابٍ عديدةٍ، منها:

١. لم تكن النوعيّة اللّغويّة في السياق واضحة.
٢. عدم التمكن من فصل نوعيّة لغويّة بعينها عن النوعيّات الأخرى.

ولهذا السبب عمد الباحث إلى استبدال النوعيّة بالوحدة اللّغويّة، للإشارة إلى المتحدّثين من أفراد الجماعة الواحدة. وهذا يعني أنّه قصر دراسة علم اللّغة الاجتماعيّ على الوحدات اللّغويّة المستعملة من قبل متحدّثين بعينهم.

لم يتمكن الباحث أيضًا في هذا الفصل وبمنهجه العلميّ العمليّ المستعمل في دراسته، أن يصل إلى نتائج دقيقةٍ، يمكن تعميمها لمعالجة المشكلات اللّغويّة في المجتمع. كما لم يتّضح لنا في هذه الدراسة علاقة وارتباط الوحدات اللّغويّة بجوانب المجتمع المختلفة. ويعود هذا الخلل والعجز لما تتّسم به اللّغة في علاقتها بالمجتمع، إذ وصفت بالغموض والتقصير، وعدم تشخيص قاعدة عامّة لكُلّ الوحدات اللّغويّة.

الفصل الثالث:

تناول الباحث (د. هدسون) في هذا الفصل علاقة اللّغة بالخارج، أيّ علاقتها بالفكر والثقافة، فحاول في دراسته هذه الإجابة عن تساؤلٍ مفاده:

– هل هناك علاقة بين اللّغة والثقافة والفكر (هدسون،١٩٩٠، ص١٣٤_١١٩).

حاول الباحث هنا الإفادة من علم النفس التجريبيّ والاختبارات النفسيّة والانتفاع منها؛ لأنّ الأمر هنا يتعلق بالنفس والذهن، ولما كانت الثقافة هي معرفة مكتسبة من المجتمع، فهذه المعرفة لا تكون إلا بواسطة العقل. أمّا الفكر فهو نشاط ذهنيّ إلى جنب الخبرات التراكميّة، التي يحصل عليها الفرد من تجاربه اليوميّة، وهي متّصلة بالذهن أيضًا؛ لهذا اشتغل الباحث بالاختبارات النفسيّة والذهنيّة من أجل تفادي الوقوع في الخطأ، وتقليل المشكلات التي تعترض الدراسة. الاشتغالات المعتمدة من قبل الباحث، ليست بالأمر السهل، فهناك صعوبة تواجه الباحث في معرفة ماهية الثقافة لدى إنسانٍ بعينه، فكيف يكون الأمر في معرفة ماهية الثقافة عند مجموعة من الناس.

كان الباحث (د. هدسون) منذ البداية مدركًا صعوبة الأمر؛ لذلك ليس من الضروري عنده الوصول إلى نتائج دقيقةٍ وصحيحةٍ، وهذا ما أقترحه في بداية الدراسة بأنّ هذه النتائج ليس من الضروري أن تعمّم. فضلًا عن ذلك فقد أشار الباحث إلى وجود نوع آخر من المعرفة، وهي المعرفة الخاصّة بالفرد الواحد من بين الجماعة، وهذه المعرفة تكون غير ثقافيّةٍ وغير مشتركةٍ.

وفي رأي قد أُخالف الباحث فيما ذهب إليه؛ لأنّ المعرفة لا تتحقّق إلّا بالاتّصال بين أفراد المجتمع، وحتّى تلك التي يكتسبها الفرد عن طريق الكتب والقراءة والمشاهدة، فهي نتاج أيضًا لذلك التواصل، وحتّى المعرفة المخالفة للمعارف السائدة، أراها قد نشأت من المعرفة المشتركة.

الفصل الرابع:

اهتمّ الباحث في هذا الفصل من الكتاب بالحديث عن (الكلام)، فقد عدّه: مجموعة من الوحدات اللّغويّة المستعملة في مناسباتٍ معيّنةٍ لأغراضٍ معيّنةٍ سواء أكانت هذه الوحدات قصيرة أم طويلة. كما عدّه كُلّ النصوص المكتوبة أو المنطوقة على حدٍّ سواء (هدسون،١٩٩٠، ص١٦٧).

عرض الباحث هنا مجموعةً من القيود، التي يراها ضروريةً في دراسة الكلام، منها: (اللقاء المباشر)، أيّ التعامل القائم على اللقاء المباشر، وهو شيء يُحمد عليه، ولكنّ في الوقت نفسه أهمل وتجاهل غير هذا النوع في دراسة الكلام من أنواع الاتّصال الأخرى، على سبيل المثال (وسائل الإعلام) وأثرها في الحياة العصريّة، وهي لا تقلّ أهمّيّة عن (المقابلة المباشرة)؛ لأنّها تمثل الظاهر اللّغويّة المجتمعيّة أكثر تمثيلًا. وهي أكثر تداوليّةً ورواجًا في حياة أفراد المجتمع؛ لذلك نجهل السبب الذي دفع الباحث لتجاهل هذه الوسيلة في حين أهتمّ بغيرها من المحاضرات واللقاءات وغيرها من الوسائل الأخرى (هدسون،١٩٩٠، ص١٦٧،١٦٨).

يرى الباحث (د. هدسون) بعد دراسته لهذه الظاهرة، والتوسع في وظائفها، بأنّ (دي سوسير) كان مُخطئًا عند اهتمامه باللّغة، فهي عنده إشارات لدلالاتٍ معيّنةٍ، في حين أغفل الكلام عندما عدّه نتاجًا للفرد لا يخضع للمجتمع وقيوده، فالكلام بنظره هو مسألة فرديّة بحتة، لا يخضع للقيود الاجتماعيّة؛ على العكس تمامًا من اللّغة التي عدّها خاضعة لهذه القيود؛ لذلك نجد الباحث قد أجاد في بيان القيود الاجتماعيّة التي فُرضت على الكلام.

فالكلام عند الباحث يخضع لعدّة معايير تحكمه، وتلزم أفراد المجتمع الالتزام بها بمهارةٍ، ومن جانب آخر عدّ الكلام رمزًا للهويّة الاجتماعيّة لأفراد الجماعة الواحدة؛ لذلك لا يمكن لأيّ سببٍ إغفاله أَو التغاضي عنه (هدسون،١٩٩٠، ص١٦٨،١٦٩).

الفصل الخامس:

ركّز الباحث في هذا الفصل من الكتاب على (الدراسات الكميّة للكلام)، التي ارتبطت نشأتها وتطوّرها بنشأة علم اللّغة الاجتماعيّ وتطوّره، كما لهذه الدراسات أهمّيّة كبيرة في تحقيق أهداف وغايات علم اللّغة العامّ؛ لأنّها ساهمت في تقديم المادّة العلميّة الجديدة، ووضعها في نظر العناية عند صياغة النظريّات اللّغويّة المعاصرة (هدسون،١٩٩٠، ص٢١٦).

وجّه الباحث اهتمامه في هذا الفصل أيضًا بدراسة التباين في صيغ المفردات والعبارات في اللّغة الإنكليزيّة – حصرًا – غير المتواضع عليها، كالتباين الحاصل في اختلاف نطق كلمة بعينها عند مجموعات مختلفة من الناس (هدسون،١٩٩٠، ص٢١٧).

ارتبطت الدراسات الكميّة للكلام ارتباطًا واضحًا بعلم اللّغة النظريّ؛ لأنّها اهتمّت بجوانب اللّغة نفسها، أيّ كان اهتمامها بالمادة العلميّة الأساسيّة لهذا العلم، كالأصوات وبُنية التعبيرات، والصيغ (هدسون،١٩٩٠، ص٢١٦).

اعتمد الباحث في دراسته لهذا الفصل على اللّغة المنطوقة، فضلًا عن قراءة المتحدّثين بعض النصوص المكتوبة بطلبٍ منه كقراءتهم لقوائم الكلمات. وممّا دعا الباحث لذلك؛ هو التعرف على اللّغة اليوميّة السائدة بين أفراد المجتمع العاديين؛ وكذلك كردّ فعلٍ للاتّجاه التوليديّ التحويليّ (هدسون،١٩٩٠، ص٢١٨).

قامت دراسة النصوص بقياس بعضها ببعضٍ دون اللجوء إلى التحليل الشامل لكُلّ نصّ، أيّ دون الرجوع إلى النصوص الأخرى، وبهذا يكون لكُلّ متغيّرٍ بُعدًا مستقلًا، لا يمكن من خلاله مقارنة النصوص الأخرى جميعًا به.

المعالجات التي قدّمها الباحث (د. هدسون) في هذا الفصل من دراسته، لا تخلو من الخلل الذي التمسته عند معالجته لبعض المشكلات اللّغويّة، ويكمن هذا الخلل في:

١. التأويل والتفسير المعتمد في دراسة التباين القائم بين صيغ المنطوقات، قد يخلو من الدقّة، ويكون بعيدًا عن الموضوعيّة؛ لأنّه بالأساس قد خضع للتحليل الشخصيّ.
٢. اعتماد الباحث في دراسته على اللّغة الإنكليزيّة غير المتواضع عليها، هو اختيار يخلو من الدقّة، فلا يمكن الاعتماد على نتائجه، ولا يمكن تعميمها على جميع كلام المجتمعات. بالتالي هذه المشكلات وغيرها، تقود البحث إلى نتائج غير دقيقةٍ، ولا يمكن تعميمها في الوقت نفسه.

الفصل السادس:

ركّز الباحث (د. هدسون) في هذا الفصل على موضوعٍ شديد الأهمّيّة، وهو (اللامساواة اللّغويّة الاجتماعيّة)، فعدّ اللامساواة اللّغويّة سببًا لحصول اللامساوات الاجتماعيّة؛ لأنّ اللّغة في ذاتها هي من أهمّ العوامل لاستمرار التفاوت من جيلٍ لآخر. فالاختلافات اللّغويّة عند الأفراد لنفس العمر كالاختلاف في فنون القراءة والكتابة. والاختلاف في بعض جوانب اللّغة كالمفردات والتراكيب، هو دليل على التفاوت واللامساواة اللّغويّة بين هؤلاء الأفراد، وهي نفسها التي تُدرس في المدارس، ولو كانت هناك مساواة لغويّة بين الأفراد، لما كان هناك داعٍ لتدريس أيّ جانبٍ من جوانب اللّغة الأمّ (هدسون،١٩٩٠، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨، ٢٩٩).

ميّز الباحث في حديثه عن اللامساواة اللّغويّة الاجتماعيّة بين أنواعها الثلاثة، وهي:

١. اللامساواة الذاتيّة: وهي المختصّة بدراسة رأي الناس في كلام الآخرين، فيُصنف الناس في بعض المجتمعات إلى مجموعات بحسب درجة الذكاء والفطنة والطرافة وغيرها من الصفات الكثيرة، التي يتمتعون بها اعتمادًا على الطريقة التي

يتحدثون بها، وقد تكون هذه الطريقة خاطئة، فلا يمكن استعمالها كمعيار للتقييم رغم كونها معيارًا لا يعتدّ به (هدسون،١٩٩٠، ص٢٩٩).

٢. اللامساواة اللّغويّة البحتة: وهي المختصّة بالوحدات اللّغويّة التي يعرفها الفرد، أيّ الوحدات التي تعكس نوعيّة التجارب التي مرّ بها، ومن الطبيعي أنّ الأفراد كلما كانت تجاربهم وخبراتهم مختلفة، عرفوا نوعيّات مختلفة من الوحدات اللّغويّة، مثلًا يكون بعض الأشخاص لديهم حصيلة كبيرة من المصطلحات والمفردات في مجالٍ معيّنٍ، يفتقر إليها الآخرون (هدسون،١٩٩٠، ص٣٠٠).

٣. اللامساواة الاتّصاليّة: وهي المختصّة بكيفية استعمال الوحدات اللّغويّة؛ لإتمام عمليّة التواصل بين الأفراد بنجاحٍ من غير الاقتصار على معرفتها، وهي تشمل كُلّ ما مرّ ذكره من الموضوعات الرئيسة كالعلاقة بين اللّغة والثقافة والفكر، مع ربطها بالقضايا الاجتماعيّة الهامّة كتكافؤ الفرص، والسياسة التعليميّة (هدسون،١٩٩٠، ص٣٠٠،٣٣١).

تطرّق الباحث فيما بعد إلى بعض الدراسات المؤيدة له في موضوع (اللامساواة اللّغويّة الاجتماعيّة) في الميادين الأكاديميّة كالآراء حول القدرة الاتّصاليّة عند الأطفال، أو المتطلبات اللّغويّة للمدارس، أَو انحياز المعلمين والطلبة. وكُلّ الآراء التي تطرّق إليها لا تمثل بمجملها كُلًّا متجانسًا؛ لأنّها في تطوّر النمو. لذلك نجد الباحث قد ضمّ صوته إلى الباحث (ويليامز) صاحب كتاب (اللّغة والفقر) في دعوتهما إلى التوسع في البحث والدراسة في هذا المجال، مع إجراء أكبر قدر من التنسيق بين الدراسات الحاليّة واللاحقة (هدسون،١٩٩٠، ص٣٣١-٣٥١).

شكّلت اللامساواة اللّغويّة سببًا رئيسًا في تمايز الشعوب والمجموعات، وجعلها منطوية تحت جناح لغةٍ واحدةٍ محدّدةٍ، أمّا المختلف لغويّ فيُقصى بعيدًا عن المجموعة، ومن هنا تنشأ اللامساواة الاجتماعيّة بين المجموعات التي اختلفت لغويًّا.

الخاتمة:

ممّا تقدّم يُمكننا القول بأنّ ما طرحه الباحث (د. هدسون) في هذا الكتاب، وهو طرح جريء في وقته، فقد ربط اللّغة بالمجتمع، ووثّق العلاقة بين اللّغة والفكر والثقافة، وأعاد الاعتبار للكلام التداوليّ الذي أُهل منذ (دي سوسير).

أفاد في دراسته من العلوم الأخرى: {علم الجغرافية، الأنثروبولوجيا، علم النفس العامّ، علم النفس المعرفيّ، علم الاجتماع وغيرها من العلوم الأخرى}.

أسهب الباحث في طرحه إسهابًا كثيرًا، ونرى سببه؛ لأنّ دراسته تعدّ الخطوة الأولى والجادّة في بيان العلاقة بين اللّغة والمجتمع. بعد ذلك أصبحت العلاقة بينهما واضحةً لدى الكثير من الدارسين، بعد أن برزت الكثير من المناهج كالمنهج البنيويّ التكوينيّ والمنهج التداوليّ، الذي اهتمّ بدراسة الكلام ومدى تداوليته في اللقاءات بين أفراد المجتمع.

ما توصل إليه الباحث من نتائج لا تخلو من القصور، فبعضها نتائج غير دقيقةٍ، لا يمكن تعميمها بشكلٍ واسعٍ على كُلّ المجتمعات البشريّة ولا على كُلّ الوحدات اللّغويّة، ويعود سبب ذلك إلى الظاهرة المدروسة نفسها لما بها من تعقيد وصعوبة فتأثّر على حصر النتائج، أَو تحديد نظريّة واضحة يعتدّ بها، وعلى الرغم من هذا فالطرح العلميّ الجريء والمنهج الدقيق المتبع البعيد عن الذاتيّة، قد أعطى قيمةً كبيرةً للكتاب.

المصادر والمراجع:

١. بوفرة، عبد الكريم، (٢٠١٥) علم اللّغة الاجتماعيّ مدخل نظريّ، د.ط.

٢. حجازي، محمد فهمي، (د.ت)، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء، د.ط: القاهرة.

٣. الخطيب، أحمد شفيق، (٢٠٠٦)، قراءات في اللّغة، ط١، مصر، دار النشر.

٤. داود، محمد محمد، (٢٠٠١)، العربيّة وعلم اللّغة الحديّث، د.ط، القاهرة، دار غريب.

٥. دمياطي، محمد عفيف، (٢٠١٧) مدخل إلى علم اللّغة الاجتماعيّ، ط٢، أندونيسيا، مكتبة لسان العرب.

٦. سويس، جبار، (٢٠٠٥)، الاتساق في العربيّة دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب_ المستنصريّة، بغداد.

٧. نهر، هادي، (١٩٩٨)، علم اللّغة الاجتماعيّ عند العرب، ط١، بغداد، الجامعة المستنصرية.

٨. هدسون، (١٩٩٠)، علم اللّغة الاجتماعيّ، ترجمة: د. محمود عياد، ط٢، القاهرة، عالم الكتب.

٩. وافي، علي عبد الواحد، (٢٠٠٤)، علم اللّغة، نهضة مصر، ط٩، القاهرة.